

تفسير البحر المحيط

@ 92 @ والجدري ، وأبي حيوة ، وابن أبي عبله : تكلمهم ، بفتح التاء وسكون الكاف مخفف اللام ، وقراءة من قرأ : تجرحهم مكان تكلمهم . وسأل أبو الحوراء ابن عباس : تكلم أو تكلم ؟ فقال : كل ذلك تفعل ، تكلم المؤمن وتكلم الكافر . انتهى . وروي : أنها تسم الكافر في جبهته وتربده ، وتمسح على وجه المؤمن فتبيضه . . .

وقرأ الكوفيون ، وزيد بن علي : { إِنَّ النَّاسَ } ، بفتح الهمزة ، وابن مسعود : بأن وتقدم ؛ وباقي السبعة : إن ، بكسر الهمزة ، فاحتمل الكسر أن يكون من كلام □ ، وهو الظاهر لقوله : { بَيِّنَاتٍ لِّدِينَا } ، واحتمل أن يكون من كلام الدابة . وروي هذا عن ابن عباس ، وكسرت إن هذا على القول ، إما على إضمار القول ، أو على إجراء تكلمهم إجراء تقول لهم . ويكون قوله : { بَيِّنَاتٍ لِّدِينَا } على حذف مضاف ، أو لاختصاصها ب□ ؛ كما تقول بعض خواص الملك : خيلنا وبلادنا ، وعلى قراءة الفتح ، فالتقدير بأن كقراءة عبد □ ، والظاهر أنه متعلق بتكلمهم ، أي تخاطبهم بهذا الكلام . ويجوز أن تكون الباء المنطوق بها أو المقدرة سببية ، أي تخاطبهم أو تجرحهم بسبب انتفاء إيقانهم بآياتنا . . .

{ وَيَوْمَ نَخَشُّهُمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوَجَاءَ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتٍ لِّدِينَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَكْذَّبْتُمْ بَيِّنَاتِنَا وَلَمْ تُخِطُوا بِهَا عَلِمُوا أَمْ مَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا طَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ سَافِلٍ لِّيَسْكَنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُمْ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبِّتَتْ وَجُوهُهُمْ مِّنْ النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ زَمَماً أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبِلَادَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتَلَّوْا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّا زَمَماً يَهْتَدَىٰ لِنُفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّا زَمَماً أُنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ

ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } . . .
 أي اذكر يوم نحشر ، والحشر : الجمع على عنف . { مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ } : أي من الأمم ، ومن
 هي للتبعيض . { فَوَجَاءَ } : أي جماعة كثيرة . { مِمَّنْ يَكْذِبُ بِإِثْمَاتِهِمْ } : من
 للبيان ، أي الذين يكذبون . والآيات : الأنبياء ، أو القرآن ، أو الدلائل ، أقوال . {
 فَهُمْ يُوزَعُونَ } : تقدم تفسيره في أول قصة سليمان من هذه السورة . وعن ابن مسعود ،
 أبو جهل ، والوليد بن المغيرة ، وشيبة بن ربيعة : بين يدي أهل مكة ، كذلك يحشر قادة
 سائر الأمم بين أيديهم إلى النار . { حَتَّىٰ إِذَا } : أي إلى الموقف ؛ { جَاءُوا قَالًا
 أَكْذَبَ بُتُّهُمْ } : استفهام توبيخ وتقريع وإهانة ؛ { وَلَمْ تُحِيطُوا
 بِهَا عِلْمًا } : الظاهر أن الواو للحال ، أي أوقع تكذيبكم بها غير متدبرين لها ولا
 محيطين علماً بكنهها ؟ ويجوز أن تكون الواو للعطف ، أي أجدتموها : ومع جحودها لم
 تلقوا أذهانكم لتحقيقها وتبصرها ، فإن المكتوب إليه قد يجد أن يكون الكتاب من عند من
 كتبه إليه ، ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويحيط بمعانيه علماً . وقيل : { وَلَمْ تُحِيطُوا
 بِهَا عِلْمًا } ، أي يطلانها حتى تعرضوا عنها ، بل كذبت جاهلين غير مستدلين . وأم
 هنا منقطعة ، وينبغي أن تقدر ببل وحدها . انتقل من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ إلى
 الاستفهام عن عملهم أيضاً على جهة التوبيخ ، أي : أي شيء كنتم تعملون ؟ والمعنى : إن
 كان لكم عمل أو حجة فها تها ، وليس لهم عمل ولا حجة فيما عملوه إلا الكفر والتكذيب .
 وماذا بجملة يحتمل أن يكون استفهاماً منصوباً بخبر كان ، وهو تعملون ، وأن يكون ما هو
 الاستفهام ، وذا موصول بمعنى الذي ، فيكونان مبتدأ وخبراً ، وكان صلة لذا والعائد محذوف
 ، أي تعملونه . وقرأ أبو حية : أما ذا ، بتخفيف الميم ، أدخل أداة الاستفهام على اسم
 الاستفهام على سبيل التوكيد . . .

{ وَوَقَعَ الْقَوْلُ } : أي العذاب الموعود به بسبب ظلمهم ، وهو التكذيب بآيات
 □ . { فَهُمْ لَا يَنْطَرِقُونَ } : أي بحجة ولا عذر لما شغلهم من عذاب □ . وقيل : يختم
 على أفواههم فلا ينطقون ، وانتفاء